# تكريم العلم

اجتمع نفر من رجال العلم والفضل في اوائل الشهر الماضي ( يوليو ) واجمعوا على اقامة حفلة لتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية على اثر نشر كتابه الحديث في شرح القانون المدني تتلى فيها الخطب ويهدى اليه فيها نسخة من الكتب التي الفها او ترجمها مجلدة تجليداً مذهباً ورقيم شكر يوقعهُ المحتفلون. واقيمت الحفلة في دار الجامعة المصرية الساعة السادسة من السابع والعشرين من الشهر الماضي فانهّا رجال العلم والقضاء وارباب التحرير وكبار رجال الحكومة ولما انتظم عقد الجمع تليت الخطب التالية على ترتيبها

## خطبة المستشار شكري باشا

ايها السادة الفضلاء

لجنة الاحتفال بتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول تهديكم تحيتها وتستديكم جزيل شكرها وتبث اليكم خالص ثنائها اذ تفضلتم فاجبتم دعوتها واجتمعتم اليوم في هذا المكان لتشاركوها في ابداء عواطفها وتكرموا معها العلم والنبوغ في شخص سعادة الهمام فتحي باشا

يسرني ايها السادة كما يسركم ان تقام هذه الحفلة لهذا الغرض وهي على ما اعلم اول حفلة أقيمت من نوعها ( نعم قد أقيمت حفلتان من عهد قريب لتكريم الشعر والادب في شخص شاعرنا الكبير حافظ بك ابراهيم والشاعر الحكيم خليل افندي مطران ) قلت انها اول حفلة عملية بيد اني اتمنى لان تتلوها حفلات كثيرة من نوعها كما نبغ في الامة المصرية واحد من ابنائها وخدمها بالعلم الصحيح كما فعل فتحي باشا

فكّر ايها السادة جمع من انصار النهضة العلمية في اقامة حفلة تكون شعاراً لهم ولمن يرغب في الانضمام اليهم على ما تكنهُ ضمائرهم وتشتمل عليهِ افئدتهم وينطوي تحت جوارحهم من عواطف الاكبار وشعائر الاجلال والاعجاب بهمة رجل قد افاد امتهُ كثيراً من الجهة العلمية بما أوتي من المواهب فاخرج لها في بضع سنين بضعة من الكتب الاجتماعية النافعة ولقد اجاد كثيراً في اختيارها وتعريبها ولا اخال كل من اطلع على هذه الكتب وانعم النظر في مقدار المجهودات العقلية والجسمانية التي بذلها فتحي باشا في تعريبها الاّ موافقاً على ان فتحي باشا يستحق اكرام امتهِ واحتفاءها

كتابهُ الاخير ايتها السادة الذي وضعهُ في شرح القانون المدني قد حرك هذه الفكرة

في صدر اولئك الانصار فلم يلبثوا حتى اخرجوها من حيز الفكر الى حيز القول ثم الى حيز الفعل ذلك لانهم آنسوا من الكثيرين الذين كاشفوهم بها واطلعوهم على برنامج مشروعهم كل اقبال وارتياح. وقد اخذ فريق منهم على نفسهِ من ذلك الحين تنفيذ المشروع واعداد ما يلزم لنظام الحفلة وترتيبها. لا يسعني في هذا المقام ايها السادة الاَّ ان اقدم واجب الشكر لاولئك الذين فكَّروا في اقامة هذه الحفلة واني اضاعف شكري لحضرات الاساتذة الاجلاء محمود بك ابو النصر وعزيز بك خانكي وعبد العزيز بك فهمي واحمد بك لطفي السيد اولئك الذين اخذوا على انفسهم تنفيذ المشروع وترتيب نظام الحفلة

فتحي ياشا ايها السادة ولا ازيدكم بهِ علمًا رجل جد وعمل رجل همة ونشاط اذا ذكر اولو العزم ورجال الفضل والعلم كان فتحي باشا حامل لوائهم ورافع منارهم. ما توجهت فكرتهُ الى اي مشروع علمي نافع لامتهِ الاَّ قام بتنفيذهِ على اكمل وجه بهمة لا تعرف الملل. رجل لم تمنعهُ اعمال وظيفتهِ وهي كثيرة كما تعلمون من ان يجعل كل اوقات فراغهِ وراحتهِ وهي قليلة كما تعهدون وقفًا على مراجعة الكتب الفرنساوية النافعة واختيار اكثرها نفعًا لابناء وطنهِ فينقلها الى اللغة العربية بعبارة فصيحة بليغة واسلوب عربي مبين بحيث يخال للقارئ انها اصل لا تعريب

ليس في مصر ايها السادة من ينكر على فتحي باشا تفوقهُ في القانون ونبوغهُ في فهم اسرار اللغتين العربية والفرنسية لذلك كانت كتبهُ التي وضعها والتي نقلها الى العربية من احسن ما كتب وما عُرِّب واني لارجو ان تنتفع الناشئة بما كتب وما عرَّب

المحتفلون ايها السادة انما ارادوا باقامة هذه الحفلة ان يضعوا الحجر الاول لبناء التضامن العلمي وذلك التضامن الذي لا بد منهُ لنعلم قيمة رجال الفضل ونبوغ اهل العلم

لقد سرني كثيرًا ايها السادة ان فكرتهم وهي في غاية السداد والصواب قد قوبلت من جميع العلماء والفضلاء بمزيد الارتياح والاستحسان ولا ادل على ذلك من ان ارى اليوم اجتماع عدد كبير من انصار العلم وذوي العقول الراجحة في هذا المكان مؤيدين لفكرتهم ومشاركين لهم في شعورهم ووجداناتهم. يحق لنا الآن ايها السادة ان نهنىء النفس بان روح التضامن والتكافل العلمي قد انبثت في نفوس الكثيرين واني لارجو ان تدوم هذه الروح الشريفة ليستزيد رجال النهضة العلمية من غيرتهم ويضاعفوا من همتهم في سبيل رقي البلاد بالعلم الصحيح والتربية الحقة ونشر الكتب المفيدة

ميقاتي على سماعكم الآن ايها السادة حضرة الاستاذ الفاضل عبد العزيز بك فهمي كلمة

في بيان فوائد كتاب شرح القانون المدني ومزاياهُ ومن هذا البيان تعلمون مقدار المجهودات التي بذلها فخري باشا والتكاليف التي تجشمها سبيل وضع هذا الكتاب المستطاب لفائدة المشتغلين بالقانون

الآن وقد بينت لحضراتكم ايها السادة غرض المحتفلين في هذه الكلمة الوجيزة لا ارى مندوحة في الختام من انتهاز هذه الفرصة لتهنئة صديقي فخري باشا في هذه الحفلة بما آتاهُ الله من المواهب وما احرزهُ من السبق في ميدان الحياة العلمية والله يؤتي الحكمة من يشاء والله ذو الفضل العظيم

---

## خطبة الاستاذ عبد العزيز بك فهمي المحامي

ايها السادة

ان خير الناس افقههم للناس وهذه حقيقة مسلَّمة . اما خير وجوه النفع فهو ما سدَّ حاجة عملية ذلكم بان في الفطرة ميلاً مستمرًّا للاستزادة مما يكمل الحياة ويجملها فالانسان بغريزتهِ يتطلب الرقيّ ويبحث اليهِ ابداً ولا يقف في سبيلهِ عند حد معين ومهما حدث مما يقضي بكتمان هذا الانبعاث الطبيعي فان صوتهُ لا يخفت بل يرتفع عالياً يتوجع تارة على مصير الامور التي الفت بصاحبهِ الى مهواة العجز وفقدان الحيلة ويؤنبهُ تارة اخرى على قعودهِ عن السعي في سبيل الاخذ بالاسباب والناس من حولهِ قيام في هذا السبيل ناهضون وليس منا الاَّ من يقوم لهُ من نفسهِ الدليل على صدق هذا النظر

وانهُ لا وسيلة لتبليغ المرء املهُ من اشباع هذا الميل الفطري للرقي سوى العلم . فالعلم ان وجب لهُ التقديس من جهة ان الحقائق التي يكشفها حجة بذاتها على الكافة غير مفتقرة في وجودها للغير فان تقديسهُ على بني الانسان اوجب من جهة انهُ وسيلتهم الوحيدة لاعز مطلوب لهم وهو الحياة الكاملة وعلى هذا الاعتبار كان خير وجوه النفع خدمة العلم وكانت اليد التي تضع حجراً في بناء العلم خير الايدي وانداها

ايها السادة اجتمعنا اليوم لتمجيد العلم وتعظيم شأنهِ ولنظهر اغتباطنا برجل منا سمت بهِ همتهُ للاحسان في خدمة العلم ولنتهزها ساعة ندخل عليهِ السرور فيها بما اجهد نفسهُ وقلل من راحتهِ ليزيد في راحتنا

الا آن لنا كل الاغتباط بعالمنا العامل فان ذلكم الكتاب الذي وضعهُ اخيراً في شرح

القانون المدني هو على اختصاره من خير ما اخرج للناس في بلدنا بلغتنا العربية كتاب افاد لغة القانون وعلم القانون معاً

اما لغة القانون فان فيها كثيراً من الكلمات الاصطلاحية التي لم يؤدّها المترجمون تمام التأدية عند تلقيهم العلم من الفرنساوية للعربية فمؤلفنا الجليل سد لنا جزءاً كبيراً من هذا النقص بما تخيّر لهذه الاصطلاحات من الالفاظ العربية التي اخذ بعضها من كتب الشرع الاسلامي وبعضها وضعهُ هو بما اوتيهُ من واسع الاطلاع على مفردات اللغة العربية وحسن الذوق في الاختيار

ولقد عمدت في كتابهِ الى الكلمات الدالة على امهات الاصطلاحات فعددت منها شيئاً كثيراً . وهاكم منها بعضاً من كل

كلمة Patrimoine يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية فتارة يستعمل لها الفاظ « مجموع املاك الانسان » وتارة اختصر استعمل لها لفظ « مالية » ولكن المؤلف اختار لها لفظ الثروة وهو لفظ مفرد دال على المعنى تمام الدلالة

وكلمتا Choses fongibles & ch. non fonigbles. استعمل لها لفظ الاشياء المثالية والاشياء القيمية كالاصطلاح الشرعي وهو وضع صحيح ولغة القانون محتاجة اليهِ

وكلمتا Servitude d'aqueduc & serv. d'écoulement des eaux استعمل لها الفاظ حق الشرب وحق المسيل رجوعاً للاصطلاح الشرعي

وكلمة Possession هذه مصطلح عليها الآن بعبارة « وضع اليد » وقد وجد المؤلف ان هذا التعبير لا دقة فيهِ وان القانون استعملهُ ايضاً ترجمة لكلمة Occupation فصار اللفظ مشتركاً محتاجاً في تخصيص معناهُ الى القرينة فعدل هو عنهُ الى لفظ مفرد ادل على المعنى وهو لفظ « اليد » ولقد احسن اختيار هذا اللفظ خصوصاً وانهُ هو المعبر بهِ في الاصطلاح الشرعي عن هذا المعنى

اما كلمة Occupation او Appropriation فانهُ ترجم لها بلفظ « الاستيلاء » ولا شك ان هذا الاختيار من اجود ما يكون فان هذا اللفظ في الدلالة على معناهُ القانوني ينبعث منهُ نفس القوة والحياة الذي ينبعث من الكلمتين الفرنساويتين

وكلمة Accession ترجمها القانون بعبارة « اضافة الملحقات للملك » وفضلاً عما في هذه الترجمة من كثرة الالفاظ فانها تعبر عن السبب بالمسبب اذ الاضافة للملك هي حكم القانون بسبب الالتحاق فهي ترجمة معيبة نبذها المؤلف واستبدل بها لفظاً مفرداً هو « الالتصاق »

وهو لفظ وضعهُ اللغوي يؤدي المعنى القانوني تمام التأدية

وكلما Presc. extinctive, Prescription acquisitive عبر عنها « بمضي المدة الموجب ومضي المدة السالب او المسقط » والمشتغل بالقانون كثيراً ما يحتاج للتعبير عن هذين المعنيين فلا يجد الفاظاً متفقاً عليها لتأديتهما، وهذان اللفظان « الموجب والسالب » لا بأس بهما ومتى صقلها الاستعمال قبلها الذوق بلا كلفة

وكلمة Interruption Civile عبر عنها « بالانقطاع الحكمي » وعندنا ان هذا التعبير العربي ادق من الاصطلاح الفرنساوي فان اليد لا تزول فعلاً في هذا النوع من الانقطاع بل تكون في حكم الزالة بما يتخذهُ صاحب العين من الاجراءات التي بيّنها القانون من اجل ذلك كان لفظ « حكمي » ادل على المعنى من لفظ Civile المعبر به في الاصل الفرنساوي

ومن عيوب الرضا ما يعدمهُ فيعدم العقد ومنها ما لا يعدمهُ تماماً ويعبر عن ذلك بالفرنساوي بعبارة Vices exclusifs du consentement et Vices non-exclusifs فالمؤلف وضع لذلك الفاظ « العيوب المانعة والعيوب المفسدة » وهو اختيار جيد ودقيق

وكلمة Obligation Aléatoires ترجمها « بالعهدات الاحتمالية » وكثيراً ما كان يتردد المشتغل بالقانون في ايجاد لفظ يعبر به عن هذا المعنى

وكلمة Obligations facultatives ترجمها « بالتعهدات البدلية » وكأني بالمؤلف تردد كثيراً عند وضع هذا اللفظ اذ ينقصهُ معنى الاختيار الذي هو من مشخصات هذا النوع من التعهدات ولكن المدقق المنصف يرى ان هذا اللفظ اولى ما يمكن التعبير به لما انهُ انفى للبس. فان ما قد يجول بالخاطر هو تسمية هذا النوع بالتعهدات الاختيارية ولكنها تسمية توجب الخلط بين مدلولها ومدلول نوعين آخرين هما التعهدات التخييرية Alternatives والتعهدات الادارية potistatives

من اجل ذلك كان ما اختارهُ المؤلف اولى ويكفي ان يكون مستنداً في التسمية الى بعض مشخصات هذا النوع وهو اعطاه شيء بدلاً من الموضوع الاصلي للتعهد

وكلمات Condition pendante, Cond. accomplie, Cond. défaillie عبر عنها بالشرط المعلق والشرط المحقق والشرط المتخلف وكلها الفاظ دالة على المعنى تمام الدلالة

وكلمة Gestion d'affaires كثيراً ما يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية وكل ما يستطيع ان يترجمها بهِ هو عبارة « ادارة اعمال الغير » ولكن المؤلف وضع لها عبارة « اعمال الفضولي » كالاصطلاح الشرعي وهو اصطلاح منطبق تماماً على المعنى بل هو ادق

بكثير من الاصطلاح الفرنساوي الذي يصدق بحسب معناهُ اللغوي على كل ادارة عمل سواء كانت من اصيل او من نائب شرعي او اختياري او من فضولي

ومن اسباب الغاء العقود اضرارها بمصلحة الدائن فهذا النوع من الالغاء سماهُ الاسترجاع وقصر لفظ الالغاء على غيرهِ من الصور وذلك لسهولة التمييز بين النوعين بحيث اسمينا مع هذا اللفظ المفرد في غنى عن استعمال عبارة « الدعوى البولسية Action paulienne » او عبارة « الالغاء للاضرار بمصلحة الدائن »

وكلة Eviction المستعملة في باب البيع للدلالة على استحقاق الشيء المبيع للغير عبَّر عن الضمان المستحق بسببها « بضمان درك المبيع » والدرك هو التبعة الناشئة من لحاق الشيء بالغير واستحقاقهِ لهُ وهو تعبير جيد ومستعمل في كتب الشرع الاسلامي

وسمى Louage d'industrie الاستصناع كالاصطلاح الشرعي وسمي Bail à colonat partiaire « المزارعة » كالاصطلاح الشرعي ايضاً وسمى Bail à cheptel وهو اجارة الماشية « الاجارة بالنائدة » اخذاً من حكمها

واطلق على Dépositaire لفظ « وديع » وكان من العادة التعبير عن هذا المعنى بلفظين هما « المودع لديهِ »

وترجم Depôt irrégulier « بالوديعة الناقصة »

وترجم Dépôt d'hotellerie « بالوديعة الجارية » وفي هذا اللفظ معنى التكرر وعدم الاستيثاق فلا بأس بهِ للدلالة على هذا النوع المعبر عنهُ في الفرنساوية باكثر صورهِ حدوثاً

واستعمل عبارة « رهن الحيازة » باضافة كلة الحيازة للدلالة على معنى Gage ولعدم اللبس في العربية بين هذا النوع من الرهن وبين الرهن العقاري

ومن مختاراتهِ انهُ سمى الاملاك الموقوفة بالاموال ذات « الشبهين » لما انها تشبه الاملاك العمومية من جهة كونها غير مملوكة لاحد ومن جهة عدم جواز التصرف فيها وتشبه الملك الخاص من جهة امكان تملكها بمضي المدة وحجزها وبيعها لمن كان لهُ حق عيني ثابت عليها من قبل الوقف

الى غير ذلك من الالفاظ الاصطلاحية التي نحن في حاجة كبرى لوضعها

ولقد يخيل لمن يأخذ الامور على ظاهرها ان انتقاء مثل هذه الاصطلاحات من الهينات ولكن الممارس للعلم يعرف مقدار ما يبذل من المجهود في هذا السبيل و يقدرهُ قدرهُ هذا من جهة الاصطلاحات

واما من جهة العلم فالمطلع يرى اولاً ان لهُ انتقادات صحيحة على كثير من مواد القانون وثانياً ان لهُ كثيراً من الآراء الشخصية والمناقشة في رأي الغير

فاما الانتقاد على مواد القانون فان قلمهُ السيال تناول هذه المواد فاظهر ما فيها من خطإ الترجمة او الحشو او النقص الموجبين للابهام والتعقيد والحيرة في تعرُّف المراد

فمن خطإ الترجمة مثلاً ان المادة ٦٥ الخاصة بالغراس او البناء في ملك الغير ورد في اصلها الفرنساوي ما يفيد انهُ في صورة ما اذا كان الباني او الغارس سيء النية واختار صاحب الارض ابقاء ما استحدث بها فيكون مخيراً بين دفع قيمة الغراس او البناء en état de démolition فالنص العربي ترجم هذه العبارة بقولهِ « مستحق القلع » وهو خطأ فالمؤلف لاحظ على ذلك ووضع الترجمة الصحيحة وهي « مقلوعاً »

ومن ذلك ان المادة ٨٨ الخاصة بصور زوال الملكية بدون اختيار صاحبها ورد نص الصورة الاولى منها هكذا : « اذا كانت الملكية قد انتقلت لغيره بسبب من الاسباب الموضحة آنفاً » ولما ان تلك الاسباب منها ما هو اختياري ومنها ما ليس اختيارياً فهذا النص عام متعارض مع صدر المادة وبينهما تنافر شديد . هذا التنافر لم يحدث الاَّ من عيب الترجمة فان الاصل الفرنساوي هكذا Dans le cas ou il vient d'être expliqué qu'elle est acquise à un tiers.

وترجمتهُ « اذا كانت الملكية قد اكتسبت لغيره في الحالة الموضحة آنفاً »

وهذه الحالة هي حالة الاكتساب بمضي المدة وهو اكتساب لا اختيار للمالك الاصلي فيهِ فالمؤلف لاحظ ذلك وصحح الترجمة بما يزيل التعقيد

ومنهُ ان نص المادة ١٠٧ ورد في الاصل الفرنساوي على شكل تعريف لتضامن الدائنين اما النص العربي فاتى على شكل حكم لهذا التضامن وهذا من العيوب التي تفسد مراد الشارع فالمؤلف ترجم النص على اصلهِ

ومن الحشو في الترجمة ما ورد بالمادة « ١٥٨ » الخاصة باسباب انقضاء التعهدات والالتزامات فان الاصل الفرنساوي اورد السببين الاولين هكذا L'execution و La resolution ولكن النص العربي لم يكتف بكلمة « الوفا » وبكلمة « فسخ العقد » بل اضاف للاولى كلمة بالمتعهد بهِ بحيث صار هذا الحشو موهماً ان كل ما لم يحصل التعهد بهِ اختياراً خارج من كل احكام الوفاء — ثم اضاف لكلمة الثانية التعهد فصارت « فسخ عقد التعهد » وهذا الحشو ايضاً صار موهماً ان هناك عقداً غير عقد التعهد فضلاً عن استهجان الوصف في ذاتهِ فالمؤلف لاحظ ذلك ورد النص لاصل بساطتهِ التي شوهها التزايد

ومن امثلة الحشو والتعقيد او التصور ما ورد بجملة مواد في باب استبدال الدين بغيره وفي باب المقاصة وباب انواع الدائنين وغير ذلك. وقد اورد المؤلف وجه انتقاده على عبارة القانون في ذلك وردّ في بيانه الحقيقة القانونية لاصل جوهرها كما هي مرادة للشارع غير متعلق بظاهر الالفاظ عربية او فرنساوية. ولا يسع المقام تفصيل ما اورده في ذلك ونحن خشية الاملال نكتفي بذكر غير بعض المواد الاخرى التي تناولها بالنقد للاسباب المذكورة كلها او بعضها وهاكي

٦ في باب انواع الاموال

٩٢ و١٠٣ و١١٣ و١١٨ في التعهدات على العموم

١٦٠ و١٦١ في فصل الوفاء

١٨٠ في فصل الابراء من الدين

١٨٦ و١٨٧ و١٨٩ في استبدال الدين بغيره

١٩٣ و١٩٤ و١٩٦ في فصل المقاصة

٢٢٦ في باب اثبات الديون وهي المادة الخاصة بقوة المحررات الرسمية

٣٠٢ في باب البيع

٥٥٤ و٥٥٥ و٥٥٦ في كتاب حقوق الدائنين

٢٤٥ مرافعات في الكشف على الاعيان الثابتة

ومن ادق ما يكون انتقادهُ على عنوان الفصل السابع من باب البيع وهو « الحوالة بالديون وبيع مجرد الحقوق بالنسبة لغير المتعاقدين » وقد اعتاض هو عن هذا العنوان بعنوان آخر هو « في بيع الدين والمزاحم وفي التخارج » ولا يسعنا في بيان وجه انتقاده سوى ايراد عبارته بنصها:

« عنون القانون هذا القسم من البيع هكذا ( في الحوالة بالدين وبيع مجرد الحقوق »
« بالنسبة لغير المتعاقدين ) وهي عبارة ممسوخة من اصل فرنساوي هو ( في حوالة الديون »
« وغيرها من الحقوق المعنوية ) والعبارة الفرنساوية منتقدة عندهم لكونها تؤذن بأن من »
« الحقوق ما هو مادي وذلك محال ومع ذلك نقل القانون المصري العبارة الفرنساوية كما »
« هي واضاف عليها قولهُ ( بالنسبة لغير المتعاقدين ) بعد ان ترجم الحقوق المعنوية بقولهِ »
« ( مجرد الحقوق ) فجاء كلامهُ خليطاً غير مفهوم والفصل معقود لبيع الديون والتخارج »
« والحقوق المشكوك فيها وعلى الاخص المتنازع فيها ولذلك اخذنا العنوان الجديد والبحث »

« فيه يدور حول المتعاقدين وغيرهم خلافاً لمدلول النص وان كان اهتمامهُ بالمحال عليهِ وهو » « غير المتعاقدين اكثر »

واما آراؤهُ الشخصية في المسائل الخلافية فمنها

اولاً ان العرض الحقيقي في الشفعة غير لازم وانهُ يكفي عرض الاستعداد لدفع الثمن مع ملحقاتهِ القانونية

ثانياً يرى ان حق الاسترداد الوارد بالمادة ٤٦٢ مدني هو غير حق الشفعة

ثالثاً لهُ رأي خاص في تفسير المادتين ١١٣ و٢٠١ المتعلقتين بالمقاصة عند التضامن فان الاولى منها لا تجعل للدين المتضامن حق التمسك بالمقاصة الحاصلة بين احد شركائهِ في الدين وبين الدائنين والثانية تجعل لهُ هذا الحق بقدر حصة شريكهِ فبين النصين تخالف تام. وقد وجد المؤلف ان حضرة العلامة المسيو دوهلس حاول التوفيق بين النصين وخرج بعد بيان مطول الى ان النص الاول عام والثاني خاص مقيد لهُ اي ان المدين لا يمكنهُ الدفع بالمقاصة في كل الدين متى كانت حاصلة فيهِ كلهِ بل لهُ الدفع بسقوط ما يساوي حصة شريكهِ الحاصلة معهُ المقاصة فقط — ولكن المؤلف رد على المسيو دوهلس وبين ان نص المادة ١١٣ هو بحسب وضعهِ مطلق يمنع الاحتجاج بالمقاصة بتاتاً سواء في كل الدين او في حصة الشريك الحاصلة معهُ المقاصة ولا يحتمل التقييد ولا التوفيق بينهُ و بين نص المادة ٢٠١ ثم رأى هو قطعياً ان نص المادة ٢٠١ هو وحدهُ المعوَّل عليهِ وانهُ ناسخ لعبارة المادة ١١٣ وقد قام الدليل المقنع على صحة نظرهِ

رابعاً لهُ رأي خاص في المواد ١٥٤ وما بعدها الخاصة بنفقات الاقارب والازواج وظاهر عبارتهِ ان يجعلها جميعاً من اختصاص المحاكم الاهلية لا يستثني من ذلك الاَّ صورة النفقات بين الازواج في حالة ما اذا كان لمن تجب عليهِ النفقة وجه شرعي في عدم ادائها ففي هذه الحالة يجعلها من اختصاص المحكمة الشرعية تطبيقاً للمادة ١٦ من لائحة ترتيب المحاكم

خامساً يرى ان المادتين ٢٩٧ و ٢٩٨ المقررتين ان هلاك المبيع او تلفهُ قبل التسليم يقع على البائع ليستا مقررتين لحكم عام كما هو المتبادر منهما بل خاصتان ببيع غير المعين كالمقدرات من موزونات ومكيلات وعدديات ومقيسات ذلك البيع الذي لا تنتقل الملكية فيهِ بمجرد الايجاب والقبول بل لا بد لانتقالها من التعيين اللاحق الذي يحصل بالوزن او الكيل أو العدد او القياس فعلاً. واما بيع الاعيان المعينة الموصوفة التي تنتقل ملكيتها بمجرد الايجاب والقبول فخارج عن حكم هاتين المادتين وقد دل على ذلك بما لا غاية بعدهُ لمزيد

سادساً في باب القسمة خالف رأي العلامة الموسيو دوهلي القائل بان قسمة التركات من اختصاص المحاكم الشرعية الاهلية كما خالف رأيهُ القائل بأنهُ في قسمة الشركات تكون محكمة محل العقار هي المختصة دون محكمة مركز الشركة وقد اورد الدليل على احقيتهِ في هذه المخالفة

ايها السادة

ذلكم بعض من كل من آثار تلك الملكة الفائقة وليس ما قدمتهُ من نماذج آثارها هو وحدهُ الذي يبهر المطلع على الكتاب بل ان هناك اموراً ثلاثة لم يسبقهُ احد في بلدنا اليها :— جمع شتات ما يتدرج في موضوعات القانون المدني ثم ترتيب التأليف ترتيباً معقولاً ثم متانة اسلوب التعبير

فاما الامر الاول فان المؤلف وجد ان قانوننا المدني أبتر اذ تكلم على الاموال وعلاقتها بالاشخاص وترك الاشخاص انفسهم فلم يتكلم عليهم. وجد ذلك نوضح في اول الكتاب جزءاً عظيماً تكلم فيهِ عن الاشخاص وقد تتبع احوال الانسان من مولدهِ الى وفاتهِ فبين كيفية اثبات الميلاد والوفاة وشرح قانون ١١ اغسطس سنة ٩١٢ الخاص بذلك وبين كيفية اثبات الزواج والطلاق والوراثة وبيَّن الموطن وانواعهُ والصورة التي يكون للانسان فيها مواطن متعددة تصح مقاضاتهُ في كل منها وتكلم على الاهلية وانواعها وعلى الولايتين الشرعية والحسبية وبيَّن اختصاص المجالس الحسبية وتكلم على المفقود واحكامهِ وقد رجع في كل ما دونهُ الى الشريعة الاسلامية والقوانين واللوائح النظامية المعمول بها — وبعد ان اتم كلامهُ على الشخص الحقيقي وهو الانسان تكلم على الشخص الاعتباري وكيف يوجد

هذا الجزء الذي ابتكرهُ في كتابهِ مما يسهل الامر على المشتغلين بالقانون اذ هم يحتاجون في كثير من الظروف لمراجعة بعض مسائل الاحوال الشخصية فيجدونها مشتتة في كتب متفرقة يضيع وقتهم في البحث عنها والالمام بها بالسهولة فلا شك اذاً انهُ من اقيد الاعمال

واما الامر الثاني وهو ما أتى بهِ من حسن الترتيب فانهُ نظر الى كتاب التعهدات مثلاً فوجد القانون قسمهُ اربعة ابواب التعهدات على العموم والتعهدات المرتبة على توافق المتعاقدين والتعهدات المترتبة على الافعال والالتزامات التي يوجبها القانون . ثم وجد ان الباب الاول لا يشمل كل القواعد العامة للتعهدات كما يفهم من عنوانهِ بل بعض هذه القواعد منتشر في الباب الثاني . فخالف هو ترتيب القانون وقسم الموضوع ثلاثة اقسام التعهدات والالتزامات التي يوجبها القانون والالتزامات التي تترتب على الافعال قاصراً لفظ التعهدات

على ما يترتب على توافق المتعاقدين واللفظ نفسهُ تفيد مادتهُ وصيغتهُ معنى الاختيار الذي هو روح التوافق واما لفظ الالتزامات فجعلهُ لقسمين الاخرين ثم قدم ما يوجبهُ القانون على ما يترتب على الافعال لان الاول اجباري يقابل التعهد الاختياري واما الثاني فمشترك بين الامرين ولا شك ان هذا التقسيم والترتيب اكثر من طريقة القانون موافقة للمعقول

كذلك نظر في « العقود المعينة » التي اوردها القانون تحت هذا العنوان وعددها احد عشر فوجد منها ثلاثة وهي الكفالة والرهن والقارعة انما هي عقود تبعية تحصل تأميناً لعقود أخرى اصلية فاتخذ عنوان « العقود المعينة والتأمينات » بدل عنوان القانون ثم قسمهُ بجعل عنوان ( العقود المعينة ) شاملاً للثانية العقود الاولى فقط واما الثلاثة الاخرى فجعلها تحت عنوان ( التأمينات ) الذي يشملها هي وغيرها من انواع التأمينات القانونية

على انهُ خالف ترتيب القانون ايضاً في الكلام على الثانية العقود المعينة فوضع كلاً منها في موضعهِ المناسب لهُ لاسباب معقولة بيّنها

وكذلك وجد ان القانون شتت الاول فذكر قسماً منها ضمن كتاب التعهدات تحت عنوان ( اثبات الديون واثبات التخلص منها ) بالمواد ٢١٤ الى ٢٣٤ وذكر قسماً آخر في كتاب حقوق الدائنين تحت عنوان « اثبات الحقوق العينية » بالمواد ٦٠٦ الى ٦٢١ واردف هذا القسم بباب خاص بدفاتر التسجيل

وجد المؤلف هذا التشتت فجمع كل الادلة في قسم على حدتهِ هو القسم الاخير من كتابهِ ورتبها ابواباً وفصولاً ومباحث بحسب اللزوم العقلي شأنهُ في كل قسم من باقي اقسام الكتاب

و بعد تمام الكتاب وضع لهُ فهارس مستوفاة على الطريقة الافرنجية الاول فهرست لاقسام الكتاب حوى جميع رؤوس مطالبهِ على حسب اصل الوضع بالتسلسل من البداية للنهاية بحيث ان من يطلع عليهِ يمكنهُ ان يعلم كافة المباحث الجزئية التي تكلم عليها المؤلف في كل موضوع كلي

والثاني فهرست هجائي يشمل كافة المفردات الاصطلاحية المستعملة في الكتاب مرتبة على حروف الهجاء ومذكوراً ازاء كل منها جميع المواضع التي حصل فيها الكلام عليها مع بيان الصحف الوارد فيها هذا الكلام ولا يخفى ان مثل هذا الفهرست من اشق الاعمال وانفعها معاً — والثالث فهرست يشمل مواد القانون المدني مادة مادة بالتتابع مع بيان الصحائف التي حصل الكلام فيها على كل مادة منها — ويتلوهُ فهارس صغيرة اخرى بعضها يشمل على

الطريقة المذكورة ما حصل الكلام عليهِ في الكتاب من مواد القوانين الاهلية الاخرى المرافعات والتجارة والعقوبات وتحقيق الجنايات وكذلك لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ويتبع ذلك فهرست شامل لما عدا القوانين الاهلية من القوانين واللوائح المختلفة التي ورد ذكرها في الكتاب مع بيان الصحف المتكلم عليها فيها

يهتدي القهارس بتيسر لكل مستطلع ان يعثر على موطن طلبتهِ في الكتاب بغاية السهولة

اما الامر الثالث وهو اسلوب التعبير فانهُ من النوع الجزل المتين وقد سبق ان تلوت منهُ نموذجًا وها كم نموذجين آخرين تعرفون منهما مكانة هذا الاسلوب من الرقي

عند كلامهِ على الادلة قدم جملة ملحوظات قال في الرابعة منها بصحيفة ٣٨٩ ما نصهُ حرفيًا

« القاضي حكم عدل بين الطرفين يزن حجة كل منهما ويفصل في الخصومة بترجيح »
« احدى الحجتين وليس لهُ ان يحكم بعلمهِ الخاص لانهُ ليس شاهداً في الخصومة بهذا المبدإ »
« أمن الناس تطرف القضاة في احكامهم وحيدتهم عن الحق سهواً او عمداً وتساوى »
« الخصمان امام القضاء فالدعوى مجال يبنها يحج الواحد منهما غريمهُ بما يسر لهُ القانون »
« من وسائل الاثبات وطرق الاقناع والقضاء ميزان ترجح احدى كفتيهِ على الاخرى بما »
« يثقلها من ادلة احدهما »

وعند كلامهِ في صحيفة ٢٢٣ على العقود المعينة بيَّن انها لا يلزم ان يكون عددها محصوراً لا يزيد بل كلما ادت حركة رقي المعاملات الى الف نوع جديد منها فالشارع يتناولهُ وينظم لهُ قواعد مطابقة لما درج عليهِ القوم وصار امراً معروفاً ثم قال بالحرف الواحد :

« ولا هذا التدبير لاضطرت الامة الى الوقوف في معاملاتها عند الحد المرسوم في »
« قانون وضعهُ قوم باعتبار احوالهم وما كان جارياً في زمانهم ولزلت قدمها عن التقدم الى »
« الامام وانطفأ فيها نور الافكار فلا ترى المستقبل الاَّ بمرآة الماضي واذا جاءها نبأ شيء »
« جديد من دواعي التقدم وادركت فوائدهُ اهتزت مكانها الجمود يقعدها عن الحركة »
« والحقيقة الجديدة تجذبها وهكذا يضيع زمانها في التردد بينما تكون الامم الاخرى قد »
« سبقتها فاستفادت من الامر الجديد قوة في نظاماتها واحكاماً في منافعها وخبرة تجري »
« بها الى غيرها فتعتز وتسود »

« من هذا الباب المفتوح دخل الشخص الاعتباري الذي اظهر مكنونات الثروة وفجر »
« ينابيع الاموال وافاضها على الامم في مشارق الارض ومغاربها وتبعهُ التأمين على »
« الانفس والاموال وشركات المساهمة والملكية المعنوية وعقود النقابات وجمعيات التعاون »

« وكلها عقود جدت بجد الامم الخالصة من القيود في طلب منافعها وقد الحقت هذه »
« الاوضاع الجديدة بالقوانين المشروعة فصارت كالبيع والاجارة والقرض والوديعة ونحن »
« لا نزال في ضيق الاجارتين والاختناق بين الجدار والجدك والتطلع الى ملك الحلو »
« وارض الله واسعة »

ايها السادة

ذلك ما يسع الوقت بيانهُ من مزايا مؤلف فتحي باشا زغلول واست ادعي انهُ يشفي علة كل صادٍ فان المؤلف نفسهُ يبرأ من هذه الدعوى وانما الذي ادعيهِ بحق ان هذا الكتاب بوصف كونهِ شرحاً عربياً مختصراً للقانون المدني هو فريد في نوعهِ بل ان اي مختصر في مجموعهِ من الشروح الفرنسوية لا يجمع بين دفتيهِ ما جمع هو من القواعد والآراء وحسن التأليف والترتيب

اذا كان النظر لموضوع الكتاب في ذاتهِ يدل على قدرة المؤلف وعلو مكانتهِ فان النظر للظروف التي وقع فيها التأليف يدل على التفوق العجيب . رجل لهُ وظيفة رسمية تشغلهُ اعباؤها معظم النهار وقد تسهدهُ طرقاً من الليل وليس هو ممن يحسدون على الصحة فان اصاب بعض الفراغ من عملهِ فنفسهُ اولى بهِ لراحة جسمهِ المكدود . كيف يجد الرجل الوقت لهذا العمل الاضافي ؟ وكيف يجد القوة للصبر على مضضهِ ؟ هذا ما يتساءل عنهُ كل من يعرفهُ . والجواب عندي انها قوة ارادة وتوقد ذكاء خصهُ الله بهما فكان من شأنهِ انهُ متى اتجه فكرهُ لعمل نهض اليهِ فقطع مراحلهُ باسرع ما يكون لا يثنيهِ ضعف الصحة ولا يقعدهُ ضيق الوقت وهذا ما يجعل فتحي باشا بيننا من الاعلام المتفوقين

يا سعادة الباشا ان كان من حق العلم على الناس وجوب الخضوع لهُ والتسليم فانت خادمهُ المحسن المتفوق ومن حقك على الامة المصرية كال الاحترام والتكريم

---

## خطبة الدكتور صروف محرر هذه المجلة

ايها السادة

ان اللجنة التي تألفت لهذا الاحتفال اولتني شرفاً عظيماً بانتدابها اياي للانضمام اليها وللاعراب عما تكنهُ ضمائرنا كلنا من الاحترام للمحتفل بهِ ولاسيما من حيث كونهُ كاتباً اجتماعياً افاد بلادهُ بما الفهُ وترجمهُ في علم الاجتماع فوق ما الفهُ وترجمهُ في علم القانون

على ان هذا الاحتفال الذي اقمناهُ اليوم واعلنّا عنهُ منذ اسبوعين او ثلاثة كان يجب

ان نعلن عنهُ منذ شهرين او بضعة اشهر ولو فعلنا لجاءتنا الوفود من الشام والعراق وتونس والجزائر ومن كل مكان نقرأ فيهِ العربية وشاركتنا في اسداء الشكر الى المحتفل بهِ . ولرأيتم في مجتمعنا هذا ما يثير العواطف ويثبت لفخري باشا ان قد صار بين قراء العربية تضامن اكثر مما ظن منذ اربع عشرة سنة يوم كتب مقدمة سر تقدم الانكليز . وصار بينهم اشتراك في العواطف اكثر مما قدَّر ورغبة في مطالعة الاقوال المفيدة والمواضيع الهامة اشد مما كان حينئذٍ . اقول ذلك لا رجماً بالغيب ولا استدراجاً الى مدح المحتفل بهِ بل اقولهُ تقريراً للواقع لان عندي مجسًّا لنبض القراء اعلم منهُ مقدار النهضة الادبية التي جعلت تتزايد على نسبة هندسية حتى صرنا نخشى ان تنقطع الى طلاب الادبيات ونهمل الماديات مع ان طلب هذه مقدم على طلب تلك كما قدَّم علم الابدان على علم الاديان

وكان يجب ان تقيم هذا الاحتفال منذ اربع عشرة سنة اي حينما اخرج لنا النابغة الذي نحتفل الآن بتكريمهِ كتاب سر تقدم الانكليز . ولو اقمناهُ حينئذٍ لاشركنا فيهِ ذلك النابغة الاخر الذي نتطلع علينا نفسهُ الآن من العالم الباقي — لاشركنا فيهِ صاحب كتاب تحرير المرأة الذي فاتنا ان نحتفل بهِ حيًّا فاحتفلنا بهِ ميتًا

بل كان يجب ان نقيم هذا الاحتفال منذ عشرين سنة حينما اخرج نابغتنا كتاب اصول الشرائع لبنتام وارى ابناء العربية ان عند الاوربيين كنوزاً ثمينة يجب الاطلاع عليها وان الامم متضامنة تستفيد كل امة من عقل غيرها واختباره . كذا فعل اليونان لما طلبوا العلم في مصر والشام والعراق وكذا فعل العرب لما ترجموا كتب اليونان وشرحوها ونسجوا على منوالها وكذا فعل الاوربيون لما ترجموا كتب العرب الطبية والفلسفية واعتمدوا عليها في مدارسهم

اما كتاب اصول الشرائع هذا وسائر كتب المؤلف القانونية ولاسيما كتابهُ الاخير شرح القانون المدني فقد تكلم عليها ابن بجدتها رجل من كبار رجال القانون وانا منتدب الكلام على كتاباتهِ المتعلقة بعلم الاجتماع كأن الذين ندبوني لذلك حسبوا اني لطول عهدي في خدمة العلوم الطبيعية والاجتماعية يسهل عليَّ ان اقدِّر المحتفل بهِ قدرهُ من هذا القبيل

سادتي ان تكريم المؤلفين والمترجمين على اسلوب عالمي عمومي مثل هذا حديث العهد في هذا القطر لم نعنَ بهِ الاَّ منذ تسع سنوات حينما احتفلنا بمترجم الالياذة . واما قبل ذلك فكنا نكل التكريم الى الحاكم حتى يجيز المؤلف بجائزة مالية او وسام شرف كما كنا نفعل في كل امورنا من الاعتماد فيها كلها على الحاكم والحكومة . وقد اشار المحتفل بهِ الى هذا الاعتماد

اشارة بليغة في المقدمة التي قدمها لكتاب سر تقدم الانكليز حيث قال — « ضعفنا حتى اصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا وخصب ارضنا وترويج تجارتنا وتحسين صناعتنا . هي التي نطلب منها ان تربي الابناء وتطعم الفقراء وترزق العجزة وتنفي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق وتلم شعث العائلات وتجمع شتات القلوب . هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا وتقويم ما اعوج من سيرتنا وسيرتنا ورد هجمات المزاحمين عنا بالسهر على مصالح كل واحد منا . واذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الاثرة والقينا عليها تبعة خمولنا كلها »

هذا ما قالهُ نابغتنا منذ اربع عشرة سنة ولا بدَّ من ان يُسَر الآن اذا رأى ان الامَّة قد عرفت ما يطلب منها واعتمدت على نفسها ولو في هذا الامر واظهرت اكرامها لمن تريد اكرامهُ مباشرة من غير واسطة الحكومة . ولا يبعد ان يكون عملها هذا ثمرة من ثمار تنديدو الذي اشرت اليهِ ولو لم يخطر ببالهِ حينما كتبهُ ان ثمارهُ تينع بهذه السرعة ويكون هو اول من يخصُّ بها

هذا ولنعد الى سر تقدم الانكليز يخال لي ان كل الذين طالعوا هذا الكتاب يوافقوني على انهُ من انفس الكتب التي ترجمت الى العربية في علم الاجتماع العملي . وهو لرجل فرنسوي اعجب باخلاق الانكليز وارتقائهم فالفهُ لكي يغري قومهُ الفرنسويين بالتشبه بهم والنسج على منوالهم . وكأنَّ المختفل بهِ قال في نفسهِ حينما قرأ هذا الكتاب انهُ ان كانت الامَّة الفرنسوية على علو كعبها وتفوقها في العلوم والفنون والزراعة والصناعة والتجارة لا تزال محتاجة الى التشبه بالامَّة الانكليزية فاحرِ بنا نحن المشارقة ان نترسَّى بهذا التشبه ونحثَّ عليهِ بكل واسطة . وشعار فحي باشا كما يعلم عارفوهُ العمل على اثر القول اخذاً بقول الشاعر

ان قلتَ ويحك فاعمل ايها الرجلُ لا يصدق القول حتى يشهد العملُ

فترجم الكتاب الى العربية كما فعل غيرهُ من الفضلاء الذين ترجموهُ الى لغاتهم فاحرز عندنا منزلة قلَّما نالها كتاب ادبي اجتماعي قبلهُ لانهُ طُبع ثلاثاً حتى الآن

يظهر لي ان عقل النابغة الذي نحتفل باكرامهِ الآن يشتغل دائماً بامور الاجتماع لان اشغال منصبهِ تدعوهُ الى الاهتمام بمصالح الناس الاجتماعية فيرى انهُ يمكن ارجاعها الى مبادئ اساسية وقواعد عمومية لو جمعت وبُوبت ونُشرت لافادت افادة كبيرة . وبينما هو يفكر في ذلك يقع لهُ كتاب نفيس يبحث في هذا الموضوع فيرأ بنفسهِ ان يستأثر بفائدتهِ او ان يلخصهُ وينتحلهُ او ان يؤلف كتاباً على منوالهِ ويهمل اسم مؤلفهِ انكاراً لفضلهِ . ولا يرى

حطة من شأنه ان يترجم الكتاب ترجمة ويعترف بفضل مؤلفه اعترافاً صريحاً . ولكن المعاني التي تكون قد جالت في خاطره تساوره ليل نهار فلا يستطيع الأ ان يفرغها في قوالب الالفاظ فتأتي مقدمة للترجمة . وكم من مقدمة لهُ جمعت فأوعت واوجزت فاعجزت حتى لقد تفضل على الكتاب نفسه

عرّف بعضهم المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب . ولعلّ كثيرين منكم يميلون الى هذا التعريف . اما المقدمات التي ينشئها المحتفل بهِ فقد تكون ابلغ من الكتاب الذي يترجمهُ وقد تزيد عليهِ بما يضمنها من آرائهِ السديدة وجوامع كلمهِ . اليكم شذوراً من المقدمة التي قدمها لهذا الكتاب قال « غرضي من ترجمة هذا الكتاب تنبيه الافكار الى حالتنا التي نحن فيها ومقارنتها بحالة الامة الفرنساوية لنوقن بعد علمنا بما هي عليهِ من التقدم والعمران وبما بلغتهُ من الدرجات الرفيعة في العلم والحضارة والعرفان انها اذا احتاجت وهي على تلك الاحوال الى اصلاح شؤونها لتضارع غيرها من الامم فنحن احوج منها الى التعليم واشد افتقاراً الى التربية واعوز الناس الى الاشتغال بما ينفعنا في هذه الحياة . كما اقصد الفات الاذهان الى ان الزمان يمر بالاقوال والامة لا تحيى الأ بصالح الاعمال وانا اولى الامم بالجد في تحصيل سعادتنا . فبقدر التأخر ينبغي شد العزائم وتقوية الهمم وادامة السهر في العمل حتى نفوز بحظنا من هذه الدنيا

« اريد ان تميل الافكار الى اطالة النظر في احوال الامة الانكليزية التي تمثل البلاد والى ان عمّال الاحتلال هم قوم من ذلك الجنس الذي أُلّف هذا الكتاب لبيان السر في تقدمهِ وسيادتهِ في الوجود . وهم ما داموا في بلادنا يجب علينا ان نقارن بين احوالهم واحوالنا وعاداتهم وعاداتنا ومعارفهم ومعارفنا وهمتهم وهمتنا وحركتهم وحركتنا واقتدارهم واقتدارنا وكفاءتهم وكفاءتنا وحولهم وحولنا وثروتهم وثروتنا . يجب علينا ان نقارن بين هذا كلهِ وبين ذلك كلهِ لاننا مضطرون الى معاشرتهم ومعاملتهم والاحتكاك معهم في جميع امورنا حتى اذا صح نظرنا وعرفنا الامر على حقيقتهِ وتشبّعت نفوسنا بما هو واقع لا بما تخيلهُ من غير تبصّر وروية اهتدينا الى واجبنا القومي وعلمنا إنْ كان مجرد القول يجدينا نفعاً وهل الاجدر بنا دوام الاسترسال مع الاماني التي لا مرجع لها من عملنا وكدّنا ام اطالة التفكير في الحوادث التي تجري علينا لنميز الصالح لنا من الضار بنا ولنقصد باب النجاة فندخل منهُ ولا نبتغي عنهُ من ذلك الخيال بديلاً

« غرضي من ترجمة هذا الكتاب ان يكون مرآة يرى القراء فيها امتين عظيمتين ودولتين

نحمتين تتنازعان اقسام الوجود قد سبقت احداهما الاخرى فلما رأت هذه تأخرها جعلت تفكر في اسباب تلك الافضلية وقام العقلاء فيها وارباب الاقلام يخبرونها باسباب ضعفها ويرشدونها الى سبل الاصلاح فلم تنفر من هذا النداء بل اجابت الدعوة شاكرة مرشديها وثارت مذعورة في طلب الكمال والتشبه بجارتها . واخلق بنا ان نتعظ باعظم منا ونتمثل بين يدينا و بينهُ في العلم والتهذيب والقوة والسلطان والمسة والاقدام ما بين الارض والسماء . ثم لأسف على زمن قضيناهُ في التمني ونتفض عنا غبار الاوهام ونلتمس اصلاح شؤوننا بانفسنا ولا نحجم عن سلوك طريق الكد والعمل فهو الذي فيهِ الحياة ودونهُ الموت الصحيح »

وكتاب سر تقدم الانكليز على ما وصف المشار اليهِ فقد خدم قراء العربية بنقلهِ اليها و بهذه المقدمة التي قدمها لهُ خدمة لا بد وان يكون لها اثر صالح فينا وفي اولادنا . وكتبهُ الاخرى ترمي كلها الى هذا الغرض النبيل ألا وهو انهاض همم الشرقيين واغراؤهم بمجاراة اعظم الامم واغناها واقواها . واننا باحتفالنا بهِ انما نعرب عن شكرنا لهُ لما اسداهُ الينا من المعروف

رب قائل يقول انك مبالغ في ما تنسبهُ الى الكتب من الفضل او من التأثير في احوال الناس . لا يا سادتي لست مبالغاً فكم من كتاب غيَّر احوال اناس كثيرين او امم عديدة او غيَّر احوال المسكونة كلها . روى احد الثقات قال . — كنت مسافراً في الولايات المتحدة الاميركية فمررت بقرية صغيرة ودخلت خاناً فيها على فارعة الطريق لاستريح فرأيت فيهِ امرأة مكبة على كتاب تنسخهُ . تطلعت فاذا الكتاب مطبوع وهو المخزون (بالنهوض والارتقاء) فاستغربت اهتمامها بنسخهِ وسألتها فيذلك فقالت انها تنسخهُ لانها فقيرة لا تستطيع ابتياعهُ . واتفق انهُ كان معي نسخة منهُ فاهديتها اليها فقبلتها مني شاكرة . وبعد سنين كثيرة مررت بتلك القرية ولما وصلت الى ذلك الخان تذكرت المرأة التي اعطيتها الكتاب وسألت عنها فارشدني الذي سألتهُ الى بيت كبير مبني على اكمة تظهر عليهِ امارات النعمة وقال ان ذلك البيت بيتها وهي التي بنتهُ . فدهشت من ذلك وقصدتها وذكَّرتها بنفسي فاقبلت عليَّ وكلها ألسنة شكر وقالت ان ذلك الكتاب هو سبب نعمتها

وعلى ذكر الولايات المتحدة اقول انها انقسمت منذ خمسين سنة الى قسمين اشتبكا في حرب طاحنة لاجل تحرير العبيد . وربما لم يبلغ الكثيرين منكم ان سبب تلك الحرب وتحرير العبيد او السبب الاكبر لها قصة وضعتها امرأة ووصفت فيها ما يعانيهِ العبيد من ضروب العذاب في البلاد الاميركية . وصفت حوادث حقيقية وصفاً يثير العواطف ويحرك الجماد

فانامت البلاد واقعدتها . وكان اكثر العبيد في الولايات الجنوبية حيث يستخدمون في الاعمال الزراعية فثار اهالي الولايات الشمالية وطلبوا من اهالي الولايات الجنوبية ان يحرروا عبيدهم ولما لم يجيبوهم الى طلبهم نشبت بين الفريقين حرب عوان انتهت بتغلب الشمال على الجنوب وتحرير العبيد والفضل الاكبر في تحريرهم لتلك القصة

من لا يعرف اسم الاسكندر المكدوني الذي استولى على آسيا الصغرى ومصر والشام والعراق وفارس والهند وبخارى وسمرقند وغلب الغرب على الشرق اول مرة في تاريخ الانسان . من لا يعرف اسم ذلك الفاتح العظيم اسكندر ذي القرنين . ولكن قد لا يخطر على بالكم ان الذي بثّ في نفسه البسالة وطلب المعالي هو الياذة هوميروس . فانها كانت سميرهُ وسمرهُ في نهارهِ وليلهِ يطالعها دواماً ويعجب ببسالة ابطالها ويضعها الى جانب وسادتهِ حينما ينام في وسيفهِ . وبوليوس قيصر اشهر قواد الرومان واكبر قياصرتهم كانت قدوتهُ التي تحداها سيرة الاسكندر المكدوني . والسلطان سليم العثماني الذي تغلب على الفرس واستولى على مصر والشام وضمها الى الممالك العثمانية كان يقرأ سيرة بوليوس قيصر ويعجب بافعالهِ ويتحداها . فالياذة هوميروس وسيرة الاسكندر وسيرة قيصر اوجدت ثلاثة من اكبر الفاتحين واعظم الرجال الذين غيروا احوال البشر

فلا يحسبنّ مؤلفو الكتب النفيسة ومترجموها انها تذهب صرخة في واد اذا لم يروا الاقبال كثيراً عليها ولا ييأسوا اذا لم تُرَج بضاعتها او اذا لم يروا منها نفعاً عاجلاً . وقد لا ينال اصحاب هذه الكتب فائدة مادية منها ولكنهم ينالون ما هو اثمن من ذلك عند اهل الحقيقة ينالون الاسم الطيب والشهرة الواسعة

قلت ان الاسكندر المكدوني كان اعظم القواد الذين نبغوا في العصور الغابرة ولكن لا يذكر اسمهُ الآن مرة حتى يذكر اسم معلمهِ ارسطوطاليس صاحب كتاب المنطق عشر مرات وهو لم يستفد مالاً من كتابهِ . وبطليموس صاحب مصر كان من اعظم قواد الاسكندر وانشأ دولة عظيمة في هذا القطر فاخرت دول الارض ولكن لا يذكر اسمهُ مرة حتى يذكر اسم بطليموس صاحب كتاب المجسطي في الفلك عشرين مرة وهو ايضاً لم يستفد شيئاً مادياً من كتابهِ . وليسوا على ذلك اقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة وابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب واسحق نيوتن صاحب كتاب المبادىء في التعاليم وداروين صاحب كتاب اصل الانواع فان كان واحد من هؤلاء حي خالد بكتبهِ ولم يستفد منها مالاً

واني لارجو انهُ متى نُشح كتاب الشهرة الذي تدوّن فيهِ العصور اسماء الذين افادوا

ابناء نوعهم بكتبهم يرى في اعلى صفحة من صفحاتهِ اسم مؤلف كتاب الحماماة وكتاب شرح القانون المدني ومترجم كتاب دپولان وكتب غستاف لوبون ويرى امام اسمهِ وصف الثمار التي جناها ابناء العربية من سهر لياليهِ وبنات افكارهِ

---

## خطبة الاستاذ محمود بك ابو النصر

سعادة الباشا

هذه اعمالك الباقيات

تبدو صغيرة الحجم فاذا ما تمثلها الناظرون رأوها وقد انطوت فيها سعادة العالمين

هذه كتبك القيمة شواهد صدق على انك انت والنيل حليفا وفاء . هو يفيض الماء والخصب على ارجاء مصر وانت تدر الخير وتبعث النور ساطعاً الى عقول بنيها ذلك بما تخرجهُ لهم من آثار يراعتك وما هي الاَّ محصل عمر مبارك فيهِ لو تجسمت متاعبهُ التي احتملتها في سبيل اخراجها للناس لكانت جبلاً يشمخ بقمتهِ العالية الى ملامسة الخلود

بارك الله لك في وقتك فلم تضيعهُ سدًى . بل عرفت كيف تصرفهُ في نفع امتك وخدمة بلادك . عرفت كيف تجعلهُ تحت سلطان ارادتك القوية فحبستهُ بين جدران مكتبك وفي حجرة نومك لا تنطلق الساعة منهُ الاَّ كما ينطلق حمام البطاقة من ابراجهِ . ينطلق وهو يحمل رسالة فيها هدًى وشفاء للناس

لم يثن عزمك ما يطرأ عليك احيانًا من انحراف الصحة ولم تلهك اعمالك الرسمية عن متابعة التأليف والتصنيف فحق علينا ان نحتفل بتكريمك وانما نحتفل بتكريم العلم والفضيلة والمجد تلك المزايا التي تمثلت في شخصك الكريم وفي حركاتك النافعة

ولا غروفتلك سنَّة السلف الصالح اردنا ان نحييها باجتماعنا هذا اذ لا شيء ادعى الى نمو الفضيلة من اعلان الفضل لذويهِ

***

كان قدماء اليونان اذا نبغ فيهم صانع او شاعر او خطيب اقاموا لهُ الاعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا لهُ تاج غار مصنوعًا من اغصان الشجر المسمى بشجر الغار (Laurier) الذي كانوا يعتبرونهُ من الاشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولاسيما (Appolon) اله الشعر والفنون الجميلة . وقد ذكر مسيو سالمون رناخ في كتابهِ Etude sur la Grece antique

ان القوم كانوا يهرعون الى تلك الحفلات من كل جانب ويسارعون اليها من كل حدب فيذهبون من برقة ومن صقليا ومن ايطاليا الى اثينا للاشتراك في تكريم نوابغهم

∴

وكذلك كان الرومان . لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات التكريمية مقصورة على الخواص ويقدمون فيها للمحتفل به المكافآت المئيات على خلاف سنة اليونان وعلى نحو ما يفعلهُ الانكليز الآن

∴

على ان هذه كانت ايضاً من عادات العرب قبل الاسلام — قال ابو الحسن بن رشيق القيرواني في كتابهِ العمدة صحيفة ٢٧ جزء اول ... كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانهُ حماية لاعراضهم وذود عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الاَّ بغلام يولد او شاعر ينبغ

اما في عهد الاسلام وخصوصاً في عصر الدولة العباسية فكلكم يعلم الى اي مكانة رفع الخلفاء والامراء قدر العلماء والشعراء وكيف كانوا يجزلون لهم العطاء ويهبونهم الاقطاعات وعما يروى عن المأمون انهُ كان يعطي زنة الكتاب المترجم ذهباً

فاذا ما قمنا باحياء تلك السنة سنة تكريم العلم وتبجيل العلماء فلا بدع ولا اختراع . نعم نحييها ، ولا نتكلف في احيائها سوى شهادة الحق واعلاء شأن الفضل لا مال ولا لوال

(لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال)

يا سعادة الباشا

اني اقدم اليك عني وعن اخواني الاجلاء هذه المجموعة لابسة من نفائس الصناعة اجمل اهاب ولو اردنا من ظاهرها ان يحاكي ما اشتملت عليهِ لاغلينا الدر على طلابهِ ورددنا كرم البحار بخلاً

وجهنا الفكر واعملنا النظر فيما يحيط بنا من نفائس الصناعة و بدائع الموجودات لتتخير منها مثلاً اسنى نقدمهُ اليك تذكاراً لهذا الاحتفال فلم نجد شيئاً اجل واسنى من هذه المجموعة فلذلك اخترناها

اخترناها فكانت الهدية منك واليك

كالبحر يمطرهُ السحاب وما لهُ منٌّ عليهِ لانهُ من مائهِ

ايها السادة

اظن اني لا ازيدكم شيئاً على ما تعلمون اذا استعرضت لديكم بغير اسهاب محتويات هذه المجموعة الشائقة ولكنني انما استفيد وافيد حلاوة التكرار

لم يبرح اذهانكم ان كتاب بنتام كان اول كتاب اتحف به مصري صميم امتهُ في شرح اصول الشرائع وقد كان المشرعون ورجال القضاء والمستطلعون اليه وخريجو الحقوق وطلبتها لذلك العهد في ظام الى مثل ذلك المورد العذب

من هنا ترون ان ظهور ذلك الكتاب في وقته كان حادثاً وطنياً عظيماً لا من جهة انهُ افاد قراء العربية فقط بل من وجهة انهُ جاء مبدأً لعهد جديد هو عهد تسابق الاقلام في سبيل كشف النقاب عن غوامض القوانين واسرار وضعها وحكمة تنوعها وتوليها في الامم. اخرجهُ الينا سنة ١٩٠٣ احمد افندي فهمي زغلول رئيس النيابة العمومية لدى محكمة اسكندرية الاهلية وقدمهُ الى المرحوم خديوينا السابق فنال منهُ احسن القبول

***

وفي غضون سنة ١٣٠٥ ظهر لنفس المعرب كتاب ( خواطر وسوانح في الاسلام ) تأليف الكونت هنري دي كستري وحسبي ان القي عليكم سطرين من مقدمة الترجمة لتتبينوا اهمية العمل وسمو غرض المترجم قال

« وان قومي لعلى علم تام من ان مقصد مثلي حسن وغرضي انما هو التنبيه على انهُ قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأي قومهِ فينا وابان لهم وجهي الخطإ والصواب ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا وما دفع بهِ الدافعون وليتهم كانوا منا . وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل الخ »

***

لم يمض على تعريب هذا الكتاب ما ناف على السنتين حتى هز العالم العربي نبأ كتاب جديد هو سر تقدم الانجليز الكسونيين للفيلسوف الاجتماعي الكبير ادمون ديمولان . ظهر تعريب هذا الكتاب بعد ما عرف كل مقدرة المترجم في كتبهِ الاولى وكان اشد الناس امتيازاً لذلك الصنع هم اهل التفكير من المصريين . اولاً لان المعرب مصري تفرح الامة فرحاً خاصاً لكل بادرة من بوادر نبوغهِ . وثانياً لان القراء ادركوا الغرض البعيد والمقصد الاسمى من تعريبهِ

اجل . ادركوهُ اذ تبينوا ان ذلك الرجل القانوني الذي التج شهرتهُ في التحرير بتعريب

صغر قانوني لم يخرج بغتة عن خطته الاولى ليتحول الى سياسي مستبد بل بقي خادماً للقانون كاصدق ما يخدم القانون بتعريبه سر تقدم الانكليز السكسونيين . وكيف ذلك ؟ علم علم اليقين ان ما كانت عليه الامة الأ فئة قليلة منها من عوج الخلال وانحراف الضمائر واختلال الافكار كان يفسد نتائج القانون في ذلك الوقت ويمنع من ترقيه لان القوانين لا تكون صالحة الأ في الامم الصالحة ولان كل شعب في اخلاقه عال تكون في قوانينه حتماً نفس تلك العلل . لهذا عرب للامة ذلك الكتاب لترى منهُ اسباب تقدم تلك الدولة العظمى ورقيها ولتعلم ان الاخلاق هي ملاك تلك الاسباب . فاذا اعتبرت الامة المصرية واقتبست منهُ ما يلائمها فقد تهيأت لديها معدات الرقي وتوفرت عندها اسباب السعادة واكتملت فيها القوانين تدريجاً حتى تبلغ درجة اصلح القوانين الوضعية في العالم المتمدن . وحسبي ان اذكر لحضراتكم لمعة من فصل مستفيض نشرتهُ في مجلة الموسوعات في ١٦ يناير سنة ١٩٠٠ وانا يومئذٍ مديرها ومحررها رددت في ذلك الفصل على باحث فاضل انكر على المترجم عملهُ وعلى الكتاب نفسهُ بحجة ان ترجمتهُ قد تفضي الى الخروج بالتربية الدينية الاهلية عن جادتها المثلى واننا في غنى عنهُ بالقرآن المجيد والاحاديث الشريفة فقلت ما نصهُ :

« ضرب الله الامثال في القرآن الشريف وذكرنا بسير الامم الغابرة واحوال الممالك الماضية لنا عظة واعتباراً فهل اعتبرنا كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين من هذا القبيل واتخذنا ترجمتهُ مرآة صقيلة تمثل في اعيننا صورة امة اضحت تطاول السماء عزًّا ومنعة بازاء امة اخرى لم تبلغ شأوها وان عظمت قدراً وعلت جاهاً وانما هو الكتاب يظهر لنا ما خفي ويعرفنا من هم الانجليز الذين احتلوا الديار واخذوا فيها باعنة الامور صغيرها وكبيرها . يعرفنا بهم سواء في نظام مدارسهم او في معيشتهم الخصوصية او حياتهم الاجتماعية . يعرفنا بحقيقة معنى الوطنية لديهم وقوة التضامن فيما بينهم وتمام الاستقلال عندهم الى الحد الذي جعل افراد الامة كالجسم الواحد وجعل الفرد الواحد كامة برأسها ..... يعرفنا ذلك كلهُ مقارناً بينهُ وبين الامة الفرنساوية التي تنازعها اقتسام الوجود ونسابقها في مضمار الحياة مع دقة البحث في اسباب تفوق احداهما على الاخرى تلك الاسباب التي تسعد بها الامم وتشقى تبعاً لنواميس عامة وقوانين طبيعية تكاد لا تختلف في امة عنها لدى الاخرى الخ »

هذه فقرة من مقالتي عن الكتاب المذكور منذ ثلاث عشرة سنة ولتعزيز مقدمة غراء آسف على اني لا اجد في الوقت متسعاً لا تلو عليكم بعض شذراتها فتبينوا انها آيات الحكم البالغة في تشخيص الداء وتخصيص الدواء لحالنا الاجتماعية

أعقب هذا الكتاب بمدة لم تطل كتاب المحاماة ولما ظهر هذا السفر الجليل كانت شهرة مؤلفه قد طبقت الآفاق فزاد ذلك في اقبال الناس عليه . يقف القارئ منه على تاريخ السياسة والادارة والقضاء بمصر في عصر محمد علي وما يليه الى ان وضع القانون الاساسي ويتبين حالة الوكلاء والمحامين قبل تأسيس المحاكم الاهلية . استخرج المؤلف مواده من بطون الدفاتر ومطوى السجلات ومدشوت الاوراق المحفوظة بالدفترخانة المصرية وغيرها حتى جاءنا في خمسمائة صحيفة ذيلت باثنين واحدى عشرة صحيفة اخرى تضمنت واحداً وعشرين ملحقاً

ولقد صدق فيه قولي في عدد ١٢ يوليو سنة ١٩٠٠ من مجلة الموسوعات

« ما عالم الآثار يستلين الصخور ويستنطق الاحجار ولا واضع الاصول القانونية ومدوّن النظرات العلية بأكثر عملاً وأكبر نفعاً واجزل فضلاً من صاحب كتاب المحاماة في تدوين كتابه على النسق الذي دونهُ عليه . عودتنا مكارم صاحب اليد الطول العالم الهمام احمد فتحي بك زغلول ان نرى كل عام كتاباً جديداً من نفثات اقلامه وفيض افكاره ما بين تأليف وتعريب وبحث وتنقيب فلا ينتهي القراء من سفر هم به معجبون الاّ ولد اتحفهم بسفر آخر وهكذا تتواصل عواطف اعماله الجليلة بوالنها حتى يعلم الملأ ان في الوبداء رجالاً وان في كنانة الله جوابذة يحق للوطن ان يباهي بهم الخ »

بذور طيبة القى بها سعادته في منابت الافكار فاخصبت وها نحن معشر المحامين قد جنينا ثمارها في السنة الماضية حيث تأسست للمحاماة نقابة واصبحت لها هيئة رسمية بفضل تدرجها في مدارج الرقي من عهد انشاء ذلك الكتاب

***

وفي سنة ١٣٢٧ ظهر لهُ معرب كتاب روح الاجتماع للعالم الاجتماعي الشهير الاستاذ جوستاف لوبون بين فيه كما قال المترجم احوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من تغيير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يحيط به وكفى بهذا بياناً لمقدار عظيم نفعه

***

لم يبقَ من مشتملات هذه المجموعة الاّ كتب ثلاثة اصدرها سعادة المحتفل به في هذا العام عام ١٣٣١ فزادتنا به ابتهاجاً وهي (١) ترجمة كتاب سر تطور الامم لجوستاف لوبون نفسه وهو ضد كتابه السابق (٢) شرح القانون المدني (٣) خطاب المغفور لهُ مصطفى باشا فاضل الذي ارسله الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وفيه من العظات

البالغات والحكم الغاليات ما صاغهُ سعادة المترجم بلسان عربي مبين تنظر اليهِ فترى النور ينبعث من جواهر كلمهِ الى اعماق القلوب وترى اشرف العواطف واكرم الشيم الوطنية تتسرب من نفيس عقدهِ الى نفوس الافراد والجماعات

اما شرح القانون المدني فهو ذلك الكتاب الذي وفاهُ حضرة صديقي عبد العزيز بك فهمي حقهُ من البيان ورأيهُ فيهِ هو الرأي فلا ازيد عليهِ شيئاً

***

يا سعادة الباشا

كل هذه اعمالك المشكورة الآن وهي هي التي جعلناها بين دفتي هذه المجموعة وكفى بها موجباً للشكر على الامة المصرية الكريمة تلك الامة التي خدمتها هذه الخدم الجلائل

تقول كفى بها . وانا نقصد التعظيم لا الاكتفاء لانا نرى حقاً علينا بعد ما عرفنا لك ذلك التفوق وقدرنا فيك تلك العزيمة ولمسنا باليد عواطف حبك لبلادك ورأينا تفانيك في خدمة العلم واللغة بأبعد ما يمكن ان يخدم بهِ مصري قدير . نرى حقاً علينا بعد هذا كلهِ ان نستزيدك منها ما لا نستزيدهُ سواك ايّاً كان مبلغ عملهِ وفضلهِ وان نسأل الله في سبيل الشرق ونفعهِ وفي سبيل مصر وسعادتها ان يمد في اجلك وان يجيح لنا سلسلة لا تنقطع من نتائج ذكائك وعملك آمين

---

وكان الوقت قد ازف فاقترح حضرة احمد بك لطفي السيد الاقتصار على ما تقدم وان تنشر بقية الخطب في الجرائد اليومية توفيقاً للحضور على اقتراحهِ ونهض حينئذٍ المحتفل بتكريمهِ والقى الخطبة التالية قال

سادتي

رجعت الى المعاجم التمس منها كلمات تسمو معانيها الى سماء فضلكم او صيغة حمد تفي بقليل من واجب شكركم فما رافقني لفظ ولا شاقني معنى ورغبت عن التنقيب والاستفادة الى الاقرار والشهادة

انا عاجز نعم انا عاجز عن ايفائكم حق الثناء لقاء صنيعكم لكني لن اعجز عن الاحتفاظ بودكم والبقاء على الدوام متأثراً بجميلكم

شرفتم هذا المكان لتكريم خادم ظننتم بهِ خيراً وما خبرهُ الاَّ منكم واردتم ان تولوا لهُ فضلاً والفضل انتم مواليهِ . ولا ارى في اجتماعكم هذا الاَّ حركة نفيسة من حركات الامة

تقطع دور السكون وتعلن يقظتها وشخوصها نحو الرقي بعد ان اختمرت الافكار وتمكن اليقين بان لا حياة الاَّ بالحضارة ولا حضارة الاَّ بالعلم وما انا الاَّ ذريعة اتخذتموها للقيام بهذه الحركة المباركة

هذا مظهر خلق جديد كمن حتى اكتمل وسكن حتى نما وتم — خلق لا تقوم امة بدونه وهو عماد كل رقي هو محبة الكل خير الكل في كل فرد من الافراد وظهور هذا الخلق دليل على ما للامة من الصفات الكريمة الاولية ومن الاخلاق الفطرية الاجتماعية مما اذا عولج صفا واعلى مكانتها ووصل بها الى الدرجة التي تستحقها

من يخبر حال هذه الامة ويقف على كنه خلقها ويعرف جيداً حقيقة خصالها ويدرك الصحيح من آمالها وينعم النظر في اعمالها يقتنع بان التربة زكية لا يفسد زرعها الاَّ شيء من البذور الرديئة وبان الخلق كريم ينشأ ستار من عدم العلم التام بالواقع وبان الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك واوهام تطلع بنا يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال . اما اعمالنا فثمرة هذا وذاك نهتاج والسكون واجب ونلهو وكل النجح في العمل وما كان شيء من كل هذا يكون لولا خطاء في تقدير حقيقة حالنا وعدم التفات الى حركة البيئة التي نحن فيها ونسيان لشيء كثير من الماضي ولهو عن الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال ان تدوم هذه الحال فلا بد لنا من اعداد العدة اللازمة لذلك التحول وما هي الاَّ العلم

العلم هو سلم الامم الى حضارتها فهو كاشف ظلمات الجهل ومسدد الآراء ومنهج كل مجهود هو الذي اخترق الارض فاخرج منها مكنوناتها وحكم في المادة فاستلب منها كنوزها وتسلط على البحار فسادها ورنا الى الجو فخلق في القبة الزرقاء طائراً للناس علواً وكالاً وقرب الابعاد فاضاف الى الوقت اوقاتاً وضم الى حياة الانسان حياة وحياة . بهذا انار البصائر وشد الدزائم وقوى الهمم فانهض الامم واعلى كلمة الامة التي كان حظها منه وفيراً

ارجو ان يكون في مظهركم هذا دليل على اننا قطعنا دور التنافر والتفرق وعرفنا الصواب بعد ان حجبته عنا الاوهام زمناً طويلاً ودخلنا من باب العمل الصحيح النافع واقتنعنا بان الضعف وما الضعف الاَّ الجهل يطمس على القلوب ويجعل القوم يرون حسناً ما ليس بالحسن يظنون ان التأخر آت من عارض خارجي وانهم اذا قعدوا عن التماس وسائل التقدم فحقعد يجر بهم الى الوراء لكنهم متى علموا عرفوا ان العلة ذاتية وان الدواء في اليد وان قتل الوقت في الظنة والاتهام مضيعة لما يفيد وداع جديد من دواعي الضعف والتأخر

ارجو ان يكون في اجتماعكم هذا دليل على السآمة من هذه الحال بل على الفزع من

اخطارها الاجتماعية الكبرى وعلى ان العلم الذي ينبت فينا اخذ يفني الضمائر ويجمع شمل المتفرقين ويظهر السرائر ويوحد كلمة المتنافرين ويدير البصائر فيهدينا الى ان التآزر شرط النجاح وان يد الله مع الجماعة وان التباغض عجلة الشر والتعاون يمهد سبل الذل وان في التضاغن تهلكة للناس

لعل رجائي محقق باقبالكم على هذا المكان ملتفين حول راية واحدة مع اختلاف العناصر والمعتقدات ومنبعثين من روح واحدة ألف بين قلوبكم جميعاً فتعارفتم وجئتم اخواناً فرحين بوجه باسم يحيي موجد هذه الروح وباعث ذاك الشعور — العلم

ما خيم الجهل في امة الاَّ اذلها وما ابلج ضوء العلم بين قوم الاَّ عزوا . ايها العلماء ايها العظماء ايها الشعراء والادباء قادة الافكار ودعاة الامة ارشدوا بها فالسبيل واضح . علموا الامة . علموا الامة

## وجهة التعليم العصري

اسهبنا القول في تاريخ اصول التعليم وقد رأينا ان مذهب النشوء والارتقاء تناول حياة الانسان الفكرية كما تناول حياتهُ الجسدية . وقد رأينا ايضاً ان زمن التعليم يمكن ان يقسم الى ثلاثة ادوار رئيسية . الدور الاول وهو مقدمة التعليم ينطوي تحتهُ التعليم الشرقي والتعليم اليوناني والتعليم الروماني والتعليم في العصور الوسطى . وهذا الدور تخصصت بهِ الاجيال طويلاً ولكن قلما نجد للتجربة فيهِ مكاناً وقد كان ابن الصدف فلهذا لا ترى الوحدة فيهِ

اما الدور الثاني فمثل زمن الاصلاح زمن الافاقة من سبات العصور الوسطى . زمن هدم القديم ومحاولة البناء على اسس فلسفية فكان هذا الدور دور المحاربة والهدم

اما الدور الثالث فهو دور البناء . دور التقدم على اسس علمية متينة وهو وان لم يسر بنا بعيداً الى الامام في بادىء الامر الاَّ ان لهُ التقدم والتفوق على غيرهِ في انهُ لم يرجعنا الى الوراء . ففي هذا الدور نرى ان التجربة كانت العامل الاكبر لاكتشاف الحقائق لان الفلاسفة لم يبنوا آراءهم على خيالات فلسفية بل على حقائق عملية راهنة[1] على انهُ في تنقل

(١) انني في تقسيم ادوار التعليم الى ثلاثة اقسام كبيرة خالفت الرأي الاكثر الشائع بين علماء التعليم ظناً مني ان ذلك يكون اقرب تناولاً . واتبعت المبدأ الذي يوافق رأي كونت في ترقي العقيدة الفكرية في الانسان (Comte's Positive philosophy)